



إمام عبد رب و لا عنده

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبور

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت
الاميركية

٤

المصادر التي استند اليها ابن عبد رب (تابع)

المبرد

ويأخذ عن المبرد محمد بن يزيد الازدي النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ^(١) ،
تلميذ الجاحظ ، فينقل من كتابه الشهير «الكامل» الذي رجع اليه نفر كبير
من الادباء في القرن الرابع للهجرة كابي الفرج الاصبهاني وغيره . وينقل من غير
الكامل اخباراً نثرها في العقد^(٢) ، مشيراً في بعض الاحيان الى مصدرها ،
وساكناً في بعض الاحيان الاخرى عن ذلك . ونحن اذا رجعنا الى العقد
(٢٤١-٢٤٠:٣) نرى ان كثيراً مما دونته في هذا الموضع قد نقله عن الكامل
(ص ٣٩١-٣٩٦) دون ان يشير بكلمة الى ذلك . كذلك نرى ان بعض
اخبار الازارقة^(٣) مأخوذة عن الكامل ايضاً (ص ٥٨٦-٥٨٧) . واتخذ ابن عبد
ربه ايضاً عن كتاب آخر للمبرد هو كتاب الروضة^(٤) . ولقد ردّ على اشياء
وردت فيه^(٥) . والقريب انه مع كل ما اخذه عن المبرد قد ذمّه ونعى عليه
كتاب الروضة وهزأ به ، قال : « الا ترى ان محمد بن يزيد النحوي على علمه

(١) ابن النديم ١ : ٥٩

(٢) ابن عبد رب ١ : ٧-٢٢٧ و ٢٢٦ و ٢٢٨ و ٢٨٢ : ٣ و ١٧٨ و ٢١٧ و ٢٢٠ و ٢٠٤

(٣) ابن عبد رب ١ : ٢٦٤ - ٢٦٥ ٢٦٤ ابن عبد رب ٣ : ١٧١ و ٢٦٨

(٤) ابن عبد رب ٣ : ١٧١

باللغة ومعرفة باللسان وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يجتهد لكل شاعر الا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هاني ، وإنما يأتي له بيت ضعيف لركة فطنته وسرطة نيته وعذوبة الفاظه ، فاستخرج له من البرد ابياتاً ١٠ سمناها ولا ريناها ولا زدي من ابن وقع عليها وهي :

الا يليني في الفار جليبي ولا يليني في شرما بيبوس
تشفها قلبي فبخض عشها الي من الاشياء - كل نفس

«راين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجلب ذكره في كتاب الموالي فقال : «ومن الموالي الحسن بن هاني وهو من اقدر الناس على الشعر والطبعم فيه» . . . وجل اشعاره الحذريات بديعة لا نظير لها فخطرها كلها وتحطها الى التي جانتها في برده . فما احسب لحقه هذا الاسم المبرد الا لبرده .»^(١) وقد زنى على المبرد ايضاً ما اختاره في الروضة لابي العتاهية من الاشعار التي زعم ابن عبد ربه انها تقتل من بردها^(٢) .

ابن المقفع

ويأخذ عن عبد الله بن المقفع المترقي حرل سنة ١٣٦ هـ^(٣) فيقتل عن كتابه الادب الصغير^(٤) وعن كلبية ودمنة^(٥) . كما وانه ينقل في بعض الاحيان عنه ، دون ذكر رجوعه الى كتاب بعينه كأن يقول مثلاً « قاله او وقال صاحب كلبية ودمنة^(٦) ، او قال ابن المقفع^(٧) . ولا يتسع الوقت لدرس ما اذا كان رجوع الى كتب ابن المقفع او انه اكتفى باخذه عنها ابن قتيبة فنقله عنه .

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٦ (٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٦

(٣) Cl. Huart, *Ibn Mukaffa'* [The Encycl. of Islami, vol 2, p. 404]

(٤) ابن عبد ربه ١ : ٦٥

(٥) ٣٨٥ : ١

(٦) ٥٢ : ١ و ٢١٢

(٧) ٢٧٢ : ١ و ٣٠١

سيبويه

واخذ ابن عبد ربه عن سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث النحوي الشهيد المتوفى سنة ١٧٧ هـ^{١١} . وهناك اشارة صريحة الى انه اطلع على كتابه ، اذ قال في بيت من الشعر اورد ، للفرزدق : « وهذا آخر كتاب سيبويه »^{١٢} . ويذكر بيتاً من الشعر ويقول : وقد استشهد به سيبويه في كتابه^{١٣} . كذلك ينتقد سيبويه في استشهاده بيتين في كتابه اورد قافيتها منصوبتين ، وزعم ان النصب هو على اعراب الشيء . على المعنى لا على اللفظ - واللفظ يقتضي الجر - ويخطأه ويظهر له ان القافية مجرورة وان اليتين هما من قصيدتين مجرورتين القافية ثم يقول : « فا كان يضطر سيبويه ان ينصبهما ويحتمل على اعرابها بهذه الحيلة الضعيفة »^{١٤} . وقد نستدل من هذا الخبر ، اذا صح ان ابن عبد ربه هو اول من نه اليه ، على سعة اطلاع صاحب العقد ومرفته بكثير من اشعار العرب القدماء . واكن يجوز ان يكون قد نقل انتقاده هذا عن مصدر آخر . وكتاب سيبويه هذا انما هو كتاب النحو الذي قال فيه المبرد « ركبت البحر تمظيماً له واستعظماً لما فيه »^{١٥} . وقال المازني القديم : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح »^{١٦} .

ابن سلام

ولم يفته الرجوع الى محمد بن سلام الجعفي المتوفى سنة ٢٣١ هـ^{١٧} فقد اخذ عنه و اشار الى ذلك في موضعين من المقدم دون ان يعين كتاباً^{١٨} . وهنا

(١) ابن النديم ٥١: ١ (٢) ابن النديم ٢: ٢١١

(٣) ابن عبد ربه ١٧٠: ٣ (٤) ابن عبد ربه ١٧١: ٣

(٥) ابن النديم ٥١: ١ (٦) ابن النديم ٥٢: ١

(٧) I. Hill : مقدمة « طبقات السراء » لابن سلام الجعفي ، طبعة برل ، ليدن سنة

١٩١٤ ، ص XII

(٨) ابن عبد ربه ١: ٢٨٦ ، ٣: ٢٨٢ - اما كتب ابن سلام فهي ، فها يذكر ابن النديم ،

لا نستطيع ان نعلم هل اخذ عنه مباشرة او انه نقل عن ادباء اخذوا عنه .

ابو عبيدة

واستقى ابن عبد ربه من كتب ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة^(١) . فنقل عن كتابه التاج^(٢) ، واخذ عن ابي عبيدة في . واضح كثيرة ، ولم يذكر الكتاب الذي رجع اليه بل كفى بذكر المؤلف فقط^(٣) . وقد اسند ابن عبد ربه اكثر اخباره عن وقائع العرب في كتابه الدرّة الثانية في ايام العرب وروايتها الى ابي عبيدة دون ذكر كتابه . واذا رجعنا الى الفهرست لابن النديم^(٤) ، نرى ان بين الكتب التي رضعها ابو عبيدة كتاباً اسمه « الايام » كذلك نرى في كتاب الزهر في علوم اللغة للسيوطي ، (طبعة القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ج ١ ص ١٨٤) : « وقال ابو عبيدة في كتاب ايام العرب » . فلا يبعد ان يكون ابن عبد ربه قد اخذ اخباره هذه عن الكتاب المذكور ، لا سيما وفي كتاب ابن عبد ربه في ايام العرب اسهاب زت طويل . وقد ذكر فيه خبر اكثر من ثمانين واقعة اسند اكثرها الى ابي عبيدة . وروى القلقشندي في كتابه صبح الاعشى قال : «ولابي عبيدة مصنف مفرد في ايام العرب ، وقد اورد منها ابن عبد ربه في كتاب «العقد» جملة مستكثرة»^(٥) .

ابن وحشية

ويجوز انه استقى من بعض كتب ابن وحشية ابي بكر احمد [او محمد]

(١ : ١١٢) كتاب الفاصل في ملح الاخبار والاشعار ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، كتاب طبقات الشعراء الاسلاميين ، كتاب الخلاب واجرام الخيل .

(١) ابن النديم ٥٣ : ١

(٢) ابن عبد ربه ٢٦ : ١ ؛ ٥٢ : ٢ و ٥٥ و ٦١ و ٦٨ و ٦٨٧

(٣) ابن عبد ربه ٥٤ : ١ و ١١٢ و ٢٢٢ ؛ ٥٥ : ٢ و ٦١ ؛ ٦٠ : ٣

(٤) ابن النديم ٥٤ : ١

(٥) القلقشندي ٢٩٤ : ١

ابن علي الكلداني النبطي ، الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة^(١) ، اذ نقل عن كتابه الفلاحة بعض الاخبار الى كتاب الزرجدة الثانية في طبائع الانسان رسائل الحيوان غير اننا نظن ابن عبد ربه قد نقل اخباره هذه عن ابن قتيبة الذي سبقه في النقل عن الفلاحة^(٢) .

واخذ عن المفضل بن محمد الضبي ، وعن الاصمعي ، وعن الشيباني ، والعتبي ، وابي جعفر البغدادي ، وابن الكلبي ، والزيبر بن بكار ، وحماد ، والنزالي ، والهيثم بن عدي ، وابي غسان تليد ابني عبيدة ، والرياشي ، وابن شهاب الزهري ، والمجلي ، والكلبي ، ووهب بن منبه ، ومكحول ، والاوزاعي ، والتميمي ، والمدائني ، والشعبي ، والعتابي ، وغيرهم . ولبعض هؤلاء كتب في النوادر والاخبار ذكرها ابن النديم^(٣) . ولا يتسع المقام لدرس ما اذا كان نقل عن كتب مدونة هؤلاء او انه اخذ رواياتهم عن كتب انيرهم من الذين تأخروا عنهم . واذا علمنا ان ابن قتيبة قد اخذ عن اكثر هؤلاء ادركنا صعوبة معرفة الحقيقة الخالصة .

ابن هشام

ويرجع في بعض الاحيان الى ابن اسحق ، صاحب السيرة والمغازي ؛ ويظهر انه لم يأخذ عنه راساً ، بل اخذ عن ابن هشام حيث يقول : « قال ابن اسحق صاحب المغازي لما نزل رسول الله ﷺ الخ ... ثم يكمل الخبر مسنداً الى ابن هشام^(٤) . ويقول في موضع آخر : « ومن ذلك ما رواه ابن اسحق صاحب المغازي وابن هشام . قال ابن اسحق كذا الخ » ... ثم يقول : « وقال ابن

(١) [The Encyc. of Islâm, vol. 2, p. 427] *Ibn H'shiyyah* في المفالة المهمة

التوقيع .

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥ و ٢٥٨ : وراجع ابن قتيبة ٢ : ٨٤ و ٩٤ ؛ ونرى ان قساً

كبيراً من اخبار ابن عبد ربه عن طبائع الانسان والحيوان منقول عن ابن قتيبة

(٣) ابن النديم ١ : ٨٨ و ٩٥ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠٤

(٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢١

هشام»^١ ويأخذ أحياناً عن ابن هشام دون ذكر ابن اسحق ، كأن يقول مثلاً :
« قال ابن هشام»^٢ الخ ...

التوراة والانجيل وغيرها

وهناك بعض المصادر العربية كالتوراة مثلاً ، والانجيل ، وكتب الفرس ،
وكتب ارسطوطاليس ، وكتب الهند ، وغيرها . فقد ذكر اخباراً منقولة عنها في
عقده . ولكن ترى هل اخذ هذه الاخبار عن هذه المصادر مباشرة ام بواسطة
ابن قتيبة وغيره من الذين رجعوا اليها في كتبهم ؟ يقول الاستاذ جرجي زيدان في
كتابه تاريخ آداب اللغة العربية : «ان ابن عبد ربه لم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه
العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية
والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه»^٣ ويظهر ان الاستاذ زيدان
يذهب في هذه العبارة الى ان ابن عبد ربه نقل عن ترجمات هذه الكتب ، لا
عن الاصل اليونانية والهندية والفارسية . ولكن هذه الترجمات عرفت عند العرب
قبل زمن ابن عبد ربه ، وقد سبق المشاركة الى النقل عنها قبله ، وبخص بالذکر
الجاحظ وابن قتيبة فقد نقلوا عن بعض كتب ابن المقفع وعن بعض الكتب
المنقولة عن اليونانية والهندية . وإذا فقد اقتصر ابن عبد ربه فيما جمعه على ما
عرفه العرب في الشرق . ولا ننظر ان الاستاذ زيدان يرى ان ابن عبد ربه
نقل عن الاصول مباشرة ، كما يظهر من قول ابن عبد ربه الذي اشار اليه
الاستاذ زيدان^٤ : « وفي كتاب للهند او » وفي كتب ارسطوطاليس » . لان
هذه الاخبار منقولة عن ابن قتيبة او عن الجاحظ . واذا رأينا كثرة ما نقله ابن
عبد ربه عن ابن قتيبة ادركنا سهولة اخذه . مثل هذه الاخبار مع اسانيدها كأن
يقول مثلاً : « وفي كتاب للهند ان كذا الخ»^٥ فيوردها بالحرف كما اوردها ابن

(١) ابن عبد ربه ٣ : ١٢١

(٢) ٢ : ٢٢٢ و ٣ : ١٢٢ (٣) زيدان ٢ : ١٧٤

(٤) لاحظ قول زيدان : « وهو يشير الى ذلك في كلامه » في القطعة التي نقلناها عنه .

(٥) ابن عبد ربه ١ : ٨٠ [ولياحظ ان هذه المواضع التي يذكر فيها اخباره عن كتب
الهند قد ادخلها في كتابه السلطان والحروب اللذين أكثر فيها النقل عن ابن قتيبة] .

قتيبة نفسه : « وقرأتُ في كتاب لاهوتد ان كذا الخ »^(١) . وربما من الحيدر الأ
 نجزم في ان ابن عبد ربه لم يطلع على الترجمات الاحلية من كتب ابن المفع وغيره
 لاسيا كتب لروم ، فقد قال في عقده : « وقرأت في كتاب للروم »^(٢) .
 اما اخباره المنقولة عن التوراة والانجيل ، وبالاخص الاخير . منها ، فانا نرجح
 ايضاً انه نقلها عن ابن قتيبة الذي ذكرها في عيون اخباره في باب الزهد . ولقد
 وضعها ابن عبد ربه في عقده في كتاب الزمردة في المواعظ والزهد^(٣) . غير انه
 اكتفى بالقليل مما نقله ابن قتيبة عن التوراة والانجيل . ويظهر ان الاخيرين -
 رغم ما يقال عن احتكاك نضاري الاندلس بمسليها وشغفهم في قرطبة بدرس
 اللغة العربية وآدابها وعلومها - لم يترجما الى العربية في تلك البلاد ، او انها
 ترجما ولم يصلوا الى ايدي العلماء المسلمين بحيث يستطيع اديب مثل ابن عبد ربه
 ان ينقل عنها مباشرة ويكون في غنى عن الاستناد الى ابن قتيبة . ومها يكن
 من الامر فان ابن قتيبة هو صاحب الضل الاول في ذكر هذه الاقسام
 الصغيرة من التوراة والانجيل باللغة العربية ، ويظهر من كلامه انه قرأ بعضها في
 نسخ عربية^(٤)

القرآن والحديث

بقي القرآن والحديث ففي المقدم منها شيء . كثير ، وبالاخص الحديث ففيه
 منه طائفة ليست ببيرة منتثرة في كل اجزائه . وقد ذكر ابن عبد ربه هذه
 الاحاديث دون ذكر الكتب التي قد يمكن ان يكون اخذها عنها . غير انه

(١) ابن قتيبة ١ : ١١٢

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٤ ، وراجع ٣ : ٤٢٠ تر : « وفي بعض الكتب المترجمة » .

(٣) قابل بين ابن عبد ربه ١ : ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٦٩ ، ٢٥٧ و ٢٥٨ ، وبين ابن

قتيبة ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ - ٢٧٦ و ٢٧٦ ويرى القساري انه حيث يذكر ابن قتيبة
 التوراة يذكرها ابن عبد ربه ، وحيث يسند ابن قتيبة اخباره هذه الى مثل وهب بن منبه
 او غيره يسندها ابن عبد ربه اليهم .

(٤) ابن قتيبة ٢ : ٢٧٠ وقرأت في الانجيل : « لا تجملوا كنوزكم في الارض حيث يفسدها

السوس » الخ .

رجع في عقده الى موطأ مالك بن انس^١ الذي كان معروفاً في الاندلس يوم ذلك . واذا ذكرنا ان ابن عبد ربه من الفقهاء ادر كُنّا سهولة حفظه لكثير من الاحاديث بحيث يستشهد فيها بمقده دون الرجوع الى الكتب التي دونتها .

الدواوين الشرعية

اما الدواوين الشرعية التي يمكن ان يكون قد رجع اليها فلا نستطيع معرفتها او ضبطها او حصرها لاسيما وهو يدون في المقدم اشياء لاكثر من متي شاعر لا نعلم من اين اخذها . انما لانك في انه كان على اطلاع على شعر اهم الشعراء المتقدمين في المشرق كجبرير ، والفزدي ، والاخلطل ، وابن ابي ربيعة ، وابي نؤاس ، وابي تمام ، ومسلم ، وابي القاسم وغيرهم .

الحشني وابن وضاح وابن مخلد

ولم يفت صاحب المقدم ان يدون بعض الامور عن اساتذته في الاندلس الذين ذكروهم ابن الفرضي : الحشني ، وابن وضاح ، وبقي بن مخلد^٢ . وقد اخذ عن هؤلاء نقلاً من الاخبار عن العلماء والادباء في المشرق ، وشيئاً من آراء بعض الائمة بخصوص النبيذ وشربه ، وتليلاً من اخبار اسراء الاندلس الذين تقدموه ولم يدركوا عصره . وقد اشار الى انه اخذ عن هؤلاء في عدة مواضع^٣ وقد كان احد هؤلاء الحشني محمد بن عبد السلام من قرطبة ، وكانت له رحلة الى المشرق ودخل البصرة وسمع من علمائها وتقي بها ابا حاتم السجستاني ، والعباس ابن الفرج ، والرياشي ، وابا اسحق الزياتي ، واخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية عن الاصمعي وغيره ، ودخل بغداد ، وحج مكة ، وادخل الاندلس كثيراً من حديث الائمة وكثيراً من كتب اللغة والشعر الجاهلي ومات سنة ٢٨٦ هـ^٤ .

٢ ابن الفرضي ١: ٢٧٠

١ ابن عبد ربه ٣: ٢٤٨ و ٢١٥

٣ ابن عبد ربه ١: ٢٠٤ و ٢٤١ و ٢٥٢ و ٢٠٣ و ٥٦ و ٦٠ و ٣: ١١٦ و ١٦٦ وغيرهما
وفي ابن عبد ربه ١: ٢٠٤ . أملى ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الحشني (كذا) وفي ٢: ٢٦٠ :
حدثني بن محمد (كذا) وكلاهما تحريف عن الحشني ومخلد .

٤ السيوطي ٦٧

واما بقية بن مخلد بن يزيد القرطبي فقد ذكر عنه ، نقلاً عن ابن حزم .
انه صاحب التأليف التي لم يوثق مثلها في الاسلام ، وانه لقي ٢٨١^{١١} شيئاً^{١٢} .
وذكر في موضع آخر ان ابن حزم قال : « اقطع انه لم يوثق في الاسلام . مثل
تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره »^{١٣} . وقد انكر عليه بعض علماء الاندلس
بعض التصانيف التي نقلها من المشرق ، لاسيا . صنف ابن ابي شيبة غير ان
الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي امتحن الكتاب ثم قال لحازن كسبه : « هذا
الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا . » وقال لقي : « انكر علمك
وارور ما عندك » . ونهاهم ان يمرضوا له^{١٤} . وذكر المقرئ عن ابن حزم ايضاً
ان تصانيف بقية صارت قواعد الاسلام لا نظير لها ، وانه كان متخيراً لا يقلد
احداً^{١٥} . وذكر في موضع آخر ان بقية هذا طاف المشرق عراقه وشامه
وحجازه^{١٦} وتوفي بقية سنة ٢٧٦ هـ^{١٧} .

اما ابن وضاح فقد ذكر ابن ابار صاحب التكملة اسما . كثيرين ممن
لزموه ورووا او اخذوا عنه^{١٨} . ويظهر انه كان في قرطبة ايضاً اذ ان المقرئ
يذكر عن قاسم بن اصبح البيهقي احد علماء الاندلس انه سمع بقرطبة من بقية
ابن مخلد ومحمد بن وضاح^{١٩}

واذا عرفنا ان كثيراً من الاخبار التي دونها ابن عبد ربه في عقده عن ادباء
المشرق ورواياتهم وعالمهم لم يذكر اسنادها ، وان الحشني وبقية استاذيه قد
نقلوا كثيراً من هذه الاخبار الى الاندلس ، ادركنا كثرة ما يمكن ان يكون
قد اخذه عنهما ودونه بهتمده .

(١) المقرئ ١ : ٥١٩ ، يذكر ان عدد شيوخه ٢٣٤

(٢) المقرئ ١ : ٢٥٠ ، ٢ : ٧٧١ (٣) المقرئ ١ : ٥٩٠ ، ٢ : ٧٧١

(٤) المقرئ ١ : ٥٩ ، ويظهر ان بقية لم ينسَ صنيع محمد منه فقد حدث ابن عبد ربه
مادحاً اياه وقال له : « ما كلت احداً من الملوك أكل عقلاً ولا ابغ لفتان الامير محمد »

ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠ (٥) المقرئ ١ : ٥٩٠ ، ٢ : ٧٧١

(٦) المقرئ ، طبع اوردية سنة ١٨٥٥ - ١٨٦٠ ، ١ : ٨١٣ ، ٢ : ٥٨٦

(٨) التكملة لكتاب الصلة لابن ابار ، طبع المطبعة الشرقية بالجزائر ١٣٣٧ ١٩١٩ م

ص ١٢ و ١٤ و ١٦١ و ١٦٥ و ١٨٥ (٩) المقرئ ١ : ٢٥٠